THE TEACHER'S FORUM FORUM DE L'ENSEIGNANT منتدى الأستاذ
المجلد: 17 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2021 الصفحات 140- 154

الحركة الشِّعرية في الحواضر الجزائرية القديمة "تيهرت" أنموذجا

The Poetic Movement in the Ancient Algerian Cities "Tehert" as a Model

سليم بوزيدي[1]،*

[1] المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصّوف/ ميلة (الجزائر)، sifdawlamoutanabi@gmail.com

تاريخ الإرسال: 09/ 07/ 2021 تاريخ القبول: 06/ 10/ 2021

الكلمات المفتاحية:
الحواضر المغربية؛
الحركة الشعرية؛
بكر بن حماد التاهرتي؛
عمران بن حطان؛
تيهرت؛

الملخص:

تعد الحواضر المغربية القديمة مراكز إشعاع ثقافي وحضاري، لها إسهاماتها في الحركة الأدبية والشعرية؛ حيث كان لها حضورها المتميز، وكانت مدينة تيهرت واحدة منها، من خلال شعراء بلغوا منزلة كبيرة في نظم الشعر، حتى اشتهروا في المشرق والمغرب، وكان "بكر بن حماد التيهرتي" واحدا ممن شاركوا في الحركة الأدبية في القرن الثالث الهجري، وقصيدة بكر بن حماد في هجاء "عمران بن حطان" دليل على إسهامات المغرب القديم في الحركة الشعرية.

Keywords:
Maghreban cities,
poetic movement,
Bakr Ben Hammad El Taharti,
Imran Ibn Hatan,
Tihart,

Abstract:

The ancient Maghreban metropolitan cities, which are considered as centers of cultural and civilization influence, with their contributions in literary and poetic movement, where it had a distinguished presence. The city of Tihart was one of them, through poets who reached a great position in poetry, until they became famous in the East and the West. Bakr Ben Hammad Tiharti was one of the famous poets who participated in the literary movement in the third century A.H., and Bakr Bin Hammad's poem in the satire 'Imran Bin Hattan' is evidence of the contribution of ancient maghreb to the poetic movement.

* سليم بوزيدي

مقدمة:

ليس من السهولة بمكان على الباحث أن يدرس الأدب المغربي القديم، وبخاصة في بلاد المغرب الأوسط (الجزائر)، وما جاورها من البلدان؛ ذلك أنها لم تعرف الاستقرار السياسي في ذلك الوقت. ورغم ذلك فإن الجزائر كانت رائدة في فن الشعر والأدب، وكان لها من الأعلام ما يشكل مجالا للدراسة والبحث. وقد تعرضت في البحث إلى إشكالية التأثير والتأثر في الأدب المغربي القديم بينه وبين الأدب المشرقي القديم في عصر الشاعر بكر بن حماد التاهرتي، وهو العصر العباسي؛ حيث عاصر الشاعر دعبل الخزاعي وأبا تمام الطائي. كما تطرقت إلى إشكالية النضج الفني في الشعر الجزائري القديم، من خلال دراسة تطبيقية لنونية بكر بن حماد في هجاء عمران بن حطان الخارجي.

يهدف البحث إلى إثراء الدراسات الأدبية المتعلقة بالشعر الجزائري القديم والتعريف به. ومنهجيته وفيما يتعلق بمنهجية البحث فقد اعتمدت فيها على الوصف والتحليل فهما الأنسب لدراسة النصوص الشعرية في مثل هذا النوع من البحث.

1. الحياة الثقافية في المغرب الأوسط:

شهدت الأقطار المغربية انتشارا كبيرا للثقافة والعلوم بعد دخول الإسلام إليها؛ حيث شجع الأمراء الحركة العلمية في كبرى المدن والحواضر المغربية مثل القيروان وطبنة وتلمسان وتيهرت، فأصبح تنافس المراكز العلمية في المشرق، وبَدَا واضحا في الثقافة والفكر والأدب[1]، ويعد الفتح الإسلامي لهذه البلدان سببا مباشرا في ارتقائها، وتطورها فكريا وأدبيا، فأنجبت العديد من العلماء والأدباء والشعراء، وكانت الجزائر أو ما يسمى وقتئذ "المغرب الأوسط"، تضم بعض المدن والحواضر العلمية والأدبية، نذكر منها حاضرة تلمسان، وتيهرت، وغيرهما، ويذهب الدكتور محمد الطمار إلى القول بريادة هذه الحواضر، في العلم، فيقول: "وفي الناحية العلمية والأدبية والفكرية والفنية، فإن الجزائر لم يعقمها الله في جميع عهودها الحضارية من أن تنجب رجالات أسهموا في الرقي الثقافي المحلي والإنساني فقد عرفت علماء وفقهاء ومحدثين وشعراء وأدباء تجاوز صيتُ بعضهم بعض آفاق المغرب العربي"[2].

ولعل التراث العلمي والأدبي الذي وصل إلينا خير دليل على نضج الحركة الثقافية، بمختلف نواحيها. ولئن كان التاريخ ينقل إلينا مؤلفاتهم، فهذا لا يعني أنهم أقلُّ شأنًا من نظرائهم في المشرق العربي؛ فالواقع التاريخي يشهد بضياع مؤلفاتهم بسبب كثرة الحروب التي شهدها المغرب في القرون الثلاثة الأولى وما تلاها، من دخول الإسلام؛ فلا يمكن أن ننكر أثر الجانب السياسي في شؤون الحياة الثقافية والأدبية، بشكل خاص. ويذكر المقّري التِّلِمساني هذا التقصير في حق التاريخ، فيقول: "لم يَحِدْ عن الحقيقة مَن وَسَمُوا المغاربة بإهمال التاريخ وقلة العناية به"[3]، إنها حقيقة تاريخية، سببها الحروب التي شهدها المغرب العربي، لأسباب عديدة منها الصراع على السلطة، والخلافة، كما كان الاختلاف المذهبي من أهم العوامل التي جعلت التراث الأدبي يندثر، فمن الطبيعي أن يعمل اللاحق على طمس مآثر من سبقه. غير أن هذا لم يعدم حواضر المغرب من المساهمة في حركة العلم والأدب ولو بالشيء القليل.

1.1 حاضرة تاهرت:

تعد مدينة "**تاهرت**" أو تيهرت حاضرة من حواضر الفكر والعلم والأدب وهي عاصمة الدولة الرستمية[4] يذكرها مبارك الميلي باسم "تيهرت"، ويؤكد على الدور الثقافي والعلمي الذي اضطلعت به في القرن الثاني الهجري، بقوله: "أصبحت تيهرت معدن العلم والأدب ومحط رحال الطلبة حتى قال فيها أبو عبد الله البنا: (يُفَظِّلُونَهَا على دمشق وأخطأوا وعلى قُرطبة وما أَظُنُّهُمْ أَصَابوا)، ولست أشك في أَنَّهَا دونهما ولكن حضورها في الذّهن بحضورهما يكفي دليلا على تقَدُّمها ورُقَيِّهَا"[5]؛ يتضح من هذا النص الذي أورده الشيخ "مبارك الميلي" لأبي عبد الله البَنَّا أن "تيهرت" من أهم المراكز العلمية التي تنافس مثيلاتِها من الحواضر المشرقية مثل دمشق، والمغربية كقرطبة، ويبدو أن "البنَّا" متعصبٌ للمدرسة المشرقية، وهذا أمر طبيعي حينما تظهر حاضرة مغربية وتنشأ، ولم تكن موجودة من قبل، لكن العلم والفكر لا يتعصب إلى جهة أو مدينة بعينها، إنما يُسْلِسُ قياده إلى مَنْ يطلبه، ويسهر على تحصيله بجد واجتهاد. ولم تكن حاضرة "تيهرت" منغلقة على نفسها، منطوية على ذاتها، بل كانت تمد جسور الصلة المعرفية، والتواصل العلمي في شتى المجالات، وهذا بفضل عناية وتشجيع الأمراء الرُّستُمِيين، يقول الشيخ "مبارك الميلي": "عُنِيَ الرستميون بنقل الكتب التي تظهر بالمشرق منبع الحركة الفكرية الإسلامية، ولكن عنايتهم بالعلوم الدينية أشد، فكانوا أئمة في العلم كما كانوا أئمة في السياسة يتدارسون التفسير والحديث والفقه والكلام والأخبار والأشعار"[6].

وهذا الانفتاح الثقافي كان بمثابة الأرضية الفكرية واللغوية التي مهدت لشيوع العلم والأدب في حاضرة (تيهرت)، وقد وصف المقدسي مدينة تاهرت في القرن الرابع الهجري، بقوله: " تاهرت هي اسم القصبة (...) وهي (بلخ) المغرب قد أحدقت بها الأنهار والتفت بها الأشجار (...) وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق (...) وعلى قرطبة، وأظُنُّهُمْ أصابوا وهو بلد كبيرٌ كثير الخير، رشيق الأسواق، غزير الماء، جيّد الأهل قديم الوضع"[7]. ولو لم تكن مدينة تاهرت بهذه المواصفات، والمزايا الطبيعية والبيئية والثقافية لما قصدها طلاب العلم، ولا التجار ولا غيرهم، ولما فضّلوها على بعض الحواضر المزدهرة عليما وثقافيا كمدينة دمشق العريقة في التاريخ.

ومما لاشك فيه أن ازدهار حاضرة تاهرت كان وراءه ازدهار سياسي، وقوة في الحكم تدفع بعجلة التقدم إلى الأمام، في شتى الميادين، وكان الشعر والأدب أحد هذه الميادين التي تأثرت بازدهار السياسة، ويؤكد المؤرخون أن الحكام الرستميين أسهموا في ازدهار العلم والأدب، تقول الدكتورة سامية مصطفى مسعد: "ظلت مدينة تاهرت وازدهرت طوال حكم الرستميين في المغرب الأوسط (الجزائر)"[8]. إن العامل السياسي أحد أسباب ازدهار الحواضر المغربية، وبخاصة مدينة تاهرت التي أصبحت مقصد للعملاء والأدباء والشعراء ممن لهم اهتمام بالثقافة والعلم، غير أن التعتيم التاريخي قد حجب إشعاعها الحضاري والعلمي، فلم يصل إلينا من إبداعات شعراء تاهرت إلا القليل الذي يشهد على قيام حضارة، وحركة أدبية، لها ميزات فنية لا تقل عن الحركة الأدبية في المشرق.

2. الحركة الأدبية في المغرب العربي:

كان المغرب العربي من البيئات التي اهتم أهلها بالعلم وبالأدب، إلى درجة نجد فيها المثقف يجمع بين فنون متعددة؛ فهو فقيه، وشاعر، وعالم في الآن نفسه، مما أحدث نوعا من التداخل بين المجالات، وقد أشار "أحمد بن

شقرون"، إلى هذه الثقافة الموسوعية، بقوله: "فكانت النتيجة الحتمية أن وقع الاضطراب والارتباك في تاريخ الحركة الفكرية أو الأدبية، فأصبحت ترى المؤرخ في نظر البعض أديبا والفقيه أو المحدّث فنانا في نظر البعض الآخر، كما أصبح الواعظ المرشد يدرج في طبقة الشعراء المغلقين"[9]، وقد برز العديد من العلماء والمؤرخون في مجال الشعر والأدب، ولهذا فالفصل بين الشاعر المتخصص في النظم، وبين الفقيه يعد أمرًا بالغ الصعوبة، بالنظر إلى طبيعة التكوين العلمي والثقافي الذي يأخذ فيه المتعلم من ذلك فن بطرف، وليس هذا غريبًا على البيئة المغربية التي تحفل بالتعليم، وتعظم أهل العلم والفكر، والأدب، وفي هذا الصدد يؤكد "محمد بن شقرون" أن الثقافة المغربية قد سارت جنبا إلى جنب مع الثقافة في المشرق، حيث يقول: "فآباؤنا وأجدادنا لم يتخلفوا عن الركب الحضاري العام ولم يكونوا دون غيرهم معرفة وعلما، كما لم يكونوا أقل حظا في هذا التراث العربي العام الذي ساهموا فيه"[10]. ولا يزال الأدب المغربي القديم يعاني من النسيان والتجاهل، بل والتغييب في مجالات العلم والثقافة، والاهتمام به قليل من طرف النقاد والباحثين في العصر الحديث، إذا ما قورن بنظيره في المشرق العربي، ويؤكد الدكتور أحمد بن شقرون هذه الحقيقة، بقوله: "ليس من شك في أن التراث الأدبي المغربي مفتقر جدا إلى جهودٍ كثيرة ومتواصلة لبعثه والعمل على التعريف به في مختلف مجالات نشاطه"[11]؛ فالواقع الثقافي الراهن يشهد بهذا التقصير الذي تعاني منه الثقافة المغربية القديمة بشكل عام، وليس الأدب لوحده، وعلى الرغم من الزخم العلمي والتراث الذي أنتجه علماء المغرب وأدباؤها، فإننا، لا نكاد نعثر منه إلا على القليل من المصنفات التي عرفت النور بعد طبعها في القرن التاسع عشر وما تلاه، وبقيت مخطوطات كثيرة لم تنشر، ولم تطبع إلى يومنا هذا. وهذا يرجع إلى قلة الباحثين، والمهتمين بالتراث المغربي، وهذه حقيقة لا تخفى على الدارسين؛ "ذلك أن الجهود التي بذلت في هذا الميدان ضئيلة جدا لا تكاد تذكر إذا ما قيست بالأبحاث المتنوعة الكثيرة والمؤلفات الضخمة النفيسة التي تناولت الأدب العربي في الشرق بكثير من التدقيق والتحليل"[12]، إن اهتمام النقاد والدارسين بحركة البعث والإحياء الثقافي كان منصبا على المصنفات والمؤلفات التي أنتجها علماء المشرق وأدباؤه؛ حيث حققوا أغلبها، تحقيقا علميا شمل كل دقائقها العلمية والتاريخية والأدبية، وأزالوا عنها الستار، وأزاحوا عنها الغموض الذي اكتنفها، حتى اتَّضحت معالم الحركة الأدبية من العلمية، والتاريخية، والفقهية.

وإن اهتمام الدارسين ببعث الأدب في المشرق وإحياء الثقافة العربية كان له أسبابه ودوافعه الذاتية والموضوعية؛ فعلى كل مصر من الأمصار العربية تقع المسؤولية بمفرده، وهذا أمر طبيعي، فأهل العراق ركزا اهتمامهم على بلدهم وتراثهم. لكن النتيجة التي توصلنا إليها هي هذه، فلا ينظر أهل المغرب من غيرهم أن يقوم بالحفاظ على تراثهم الفكري والثقافي، بل عليهم أن يبذلوا قصارى جهودهم لكتابته ودراسته، وإزالة الغموض عنه، لكن تقصيرهم في هذا هو الذي أدى بالأدب المغربي إلى أن يقع في جب النسيان وأن يصبح مغمورًا، يقول محمد بن أحمد شقرون: "ونتيجة لذلك ظل أدباؤنا مغمورين، وظلَّ أدبنا مجهولا في الأوساط العربية بصفة عامة، وفي الأوساط الأجنبية، بل وحتى في الأوساط المغربية نفسها التي لا تعرف منه النزر القليل"[13]. وبهذا لحق بالتراث المغربي القديم ظلم كبير، يتحمل وزره

النقاد والباحثون في شتى مجالات العلم والثقافة، وليس من العدل أن يحظى تراثُهم بالعناية والدراسة، بينما يطمس تراث المغرب العربي، ولا يتناوله الدّارسون إلا في بعض الزوايا الضيقة من البحوث الأكاديمية.

وإذا عدنا إلى المصادر التي أَرَّخَتْ للأَدَبِ العربي عبر العصور التاريخية، وَجَدْنَا أن الأدب المشرقي قد حظي باهتمام كبير، على خلاف نظيره في المغرب الإسلامي إلى درجة أن مؤرخي الأدب لم ينقلوا شيئا من شعر المغاربة، حتى دفعهم هذا التجاهل والإقصاء إلى لوم إخوانهم، يقول الدكتور عبد الله كنون: "كثر عتب الأدباء في المغرب على إخوانهم في المشرق لتجاهلهم إياهم، وإنكار كثير منهم لكثير من مزاياهم، ولكن أعظم اللوم في هَذَا مردودٌ على أولئك الذين ضيعوا أنفسهم وأهملوا ماضيهم وحاضرهم حتى أوقعوا الغير في الجَهل بهم"[14]. هذا هو واقع الأدب المغربي في تلك الفترة، قليلة هي الأخبار التي تناولته في المشرق، ولهذا ضاع أكثره، وما بقي منه متناثرا في بطون الكتب التاريخية والأدبية، التي تعد مصادر للشعر والأدب المغربي، غير أن هذا لا يقف أمام حقيقة ظهور حواضر أدبية وثقافية، وبروز شعراء وأدباء من الوزن الثقيل في صناعة الشعر، فقد ذكر المؤرخون عددا منهم: الإمام أفلح بن عبد الوهاب الذي اشتهر ببراعته في الشعر وهو القائل:[15]

العِلْـــمُ أَبْـــقَـى لأَهْـلِ الـعِـلْـمِ آثَـــارًا يُـــرِيـــكَ أَشْـخَـــاصَـهُـمْ روحًـا وإبْـكَـارَا

1.2 الحركة الشعرية في حاضرة تاهرت:

إن الإطلاع على الآثار الأدبية والتاريخية المغربية التي وصلت إلينا يجد فيها بصيصًا من الأخبار المنقولة من علماء وشعراء حاضرة "تيهرت"، ومن خلالها يخرج ببعض الأحكام ذات الصلة بالحركة الأدبية، وملامحها العامة، فقد ورد في ترجمة الشاعر "**بكر بن حمَّاد التَّاهَرْتي**" أنه "نشأ "بتيهرت"، وارتحل إلى المشرق في حداثة سنه 217 هـ، فسمع به الحديث من ابن مسدد عمرو بن مرزوق وبشر بن حجر، واجتمع بأدبائها مثل أبي تمام حبيب وعلي بن الجهم وصريع الغواني ودعبل"[16]. وهذه الرواية التي وردت في كتاب "تاريخ الجزائر" لمبارك الميلي تدل على التلاقح الثقافي والفكري المثمر بين الحواضر المغربية والمشرقية، في العصر القديم إبان القرنين الثاني والثالث الهجريين؛ حيث ارتحل الشاعر "بكر بن ماد التاهرتي" إلى المشرق، وهناك التقى بالشاعر أبي تمام حبيب بن أوس الطّائي كبير الشعراء في بغداد، وزعيم أكبر مدرسة شعرية –آنذاك–لها مميزاتها الفنية واللغوية، فقد جرت بينهما حوارات شعرية أثبت من خلالها الفتى الشاعر بكر شاعريته، أما شيخه في مدرسة الصنعة أبو تمام، الذي اعترف له بنبوغه في قول الشعر، وهذا بمثابة إجازة وشهادة لا يمنحها الأستاذ إلا لطلبته النجباء، ولقاؤه بصريع الغواني يتيح له أن يتوسع في غرض الغزل، وأما علي بن الجهم، فأخذ منه ثقافة المذاهب الدينية والفكرية السائدة؛ إن هذا الإطلاع على الثقافة المشرقية في بعدها الديني والمذهبي، والشعري شكل ثقافة أو رصيدا ثقافيا، أمدّ الشاعر "بكر بن حماد" بمختلف الأفكار والأدوات اللغوية والفنية، ومهَّدَ أمامه الطريق إلى إحداث نهضة شعرية أدبية أصبحت –فيما بعد– خاصية من الخصائص الثقافية والأدبية لحاضرة "تيهرت" في المغرب الإسلامي.

.3. أعلام الشعر في حاضرة تيهرت:

.1.3. "بكر بن حماد التاهرتي":

ممّا لا شك فيه أنّ الشعر والأدب من أهم أركان الثقافة في تكوين الحواضر العربية، سواء أكانت في المشرق أم في بلاد المغرب، ومن الطبيعي أن يبرز الشعر والأدب، وأن يكون له أعلامه الذين يرفعون رايته، ويؤسسون له، وقد ساهم الأمراء في خدمة الحركة الشعرية لحواضرهم، بالقدر نفسه في تعاملهم مع علماء الدين والقادة. ولعل أهم شاعر من حاضرة تاهرت، الشاعر بكر بن حماد التاهرتي، الذي ذاع صيته، وامتدت شهرته بين المشرق والمغرب، ورد وصفه في تاريخ الجزائر لمبارك الميلي بقوله: "كان نابغة في الأدب، اشتهر بالشاعر، وله القصائد الطويلة الجيدة في الأغراض المختلفة من غزل ووصف ومدح وهجاء ورثاء واعتذار وزهد ووعظ، مدح الأمراء والملوك بالمشرق والمغرب، وعارض دعبل من متعصّبة الشيعة وعمران ابن حِطَّان من الخوارج"[17]؛ إن هذه الصفات التي ذكرها مبارك الميلي لا تجتمع في شخصية مثقف إلا إذا كان عَلَمًا من أعلام الشعر والأدب، وهي التي أهلت بكر بن حماد ليرتقي في سماء الشعر في "حاضرة تيهرت"، وما أحسب شاعرًا يستطيع أن يقف أمام شعراء من الوزن الثقيل مثل دعبل، وعمران بن حطان، إذا لم يكن ذا زاد معرفي وثقافي وشعري يؤهله إلى ذلك، فليس من السهولة بمكان على شاعر أن يعارض عمران بن حطان في قصيدته التي هجا بها الخليفة علي بن أبي طالب.

من خلال هذه الحركية والدينامكية التي قام بها بكر بن حماد استطاع أن يكسب ثقة كبار الشعراء والنقاد من أمثال "أبي تمام"، وتمكن أن يحتل مكانة أدبية وفكرية في مجالسهم النقدية والشعرية، وقد روى صاحب كتاب الدّر الوقاد "رمضان شاوش" وقائع جرت في بعض تلك المجالس في بغداد؛ حيث قام بكر بن حماد بتحريض الخليفة المعتصم على الشاعر "دعبل الخزاعي"، في بعض الأبيات، يقول فيها:[18]

أَ يْهَجُو أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ وَرَهْطَهُ ... ويمشي على الأرض العريضة دِعْبَلُ
أَمأ والذي أرسى ثبيرًا مكانَه ... لَقَدْ كَادَتْ الدُّنْيَا لِذَاكَ تُزَلْزَلُ
وَلَكِنَّ أَمِيرَ المؤمنين بِفَضْلِهِ ... يَهُمُّ فَيَعْفُو أَو يَقُولُ فَيَفْعَلُ
وعاتبني فيه حبِيبٌ وَقَالَ لي ... لسانُكَ محذورٌ وَسُمتُكَ يَقْتُلُ
وإنّي وإن صرَّفْتُ في الشعر منْطِقي ... لأُنْصِفُ ممَّا قُلْتُ فيه وأَعْدِلُ

وكان بكر قد قال هذه الأبيات يحرض الخليفة على قتل الشاعر دعبل الخزاعي الذي كان مشهورا بهجاء الملوك، وتجاسره عليهم، بعدما قرأ قصيدته في هجاء الخليفة المعتصم العباسي التي يقول فيها:[19]

بَكَى لِثَبَاتِ الدّينِ مُكْتئِبُ صَبُّ ... وفَاضَ بِفَرْطِ الدَّمْعِ من دينِهِ غَرْبُ
وقام إمامٌ لم يَكُنْ ذَا هِدَايةٍ ... فَليس لَه دِين وليس له لُب

ويذكر الباروني ما دار في مجلس الخليفة العباسي المعتصم، من حوار بين شيخ الشعراء والنقاد أبو تمام، وبين الشاعر الجزائري الفتى بكر بن حماد، حيث لامه على هذه الأبيات، يقول الباروني: "فَعَاتَبَهُ حبيب –يعني أبا تمام– وقال له قَتَلْتَهُ واللهِ يا بَكر"[20]، وهذه المجالس الأدبية التي حضرها بكر دليل على الحركة الشعرية المزدهرة التي كانت

تنتقل معها الثقافة العربية بين الحواضر المشرقية والحواضر المغربية الكبرى، وما حكم أبي تمام على هذه الأبيات إلا دليل آخر على رقي التجربة الشعرية لدى شعراء تيهرت، يتقدمهم بكر بن حماد الذي اشتهر في الشرق والغرب.

.2.3. عمران بن حطان الخارجي (ت 84 هـ):

هو عمران بن حِطَّان السدوسي البصري الخارجي، روي عن عائشة، وكان خارجيا كان من نظراء جرير والفرزدق في الشعر، قيل أن الحجاج كان يطبله ليقتله من المذهب[21]، ويقول عنه صاحب كتاب "بحوث في الملل والنحل" السَّبْحَاني: "صار عمران بن حطان من القعدية لأن عمره طَالَ وكبر وعجز عن الحرب وحضورها، فاقتصر على الدّعوة والتحريض بلسانه، وكان أولاً مشمّرًا بطلب العلم والحديث ثم بُلِيَ بذلك المذهب"[22]، يعني مذهب الخوارج الذين خرجوا على "علي بن أبي طالب" في حادثة التحكيم، المعروفة، التي جرت بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، ويعرفهم السبحاني، بقوله: "الخوارجُ من أقدم الفرق الإسلامية، بل أول فِرْقَةٍ ظهرت في المجتمع الإسلامي، وهو أول اختلاف حدث بين المسلمين، بعد اختلاف الأمة في مسألة الإمامة، وقد تكونت في العقد الرابع من القرن الأول بعدما نشبت الحرب بين الإمام علي رضي الله عنه، ومعاوية بن أبي سفيان"[23]. وهذه الفرقة من الفرق التي أضرت بالأمة الإسلامية في مختلف العصور التاريخية، في المشرق، وفي المغرب العربيين، بسبب خلافهما الشديد مع الخلفاء، ومع بقية الأحزاب الإسلامية الأخرى، هذا الخلاف الناشئ عن أفكارهم المتطرفة ضد مخالفيهم، وكغيرها من الفرق تكون لديها علماؤها، وشعراؤها، نذكر منهم قطري بن الفجاءة الذي كان خطيبًا أكثر منه شاعرًا، والطرماح بن حكيم، والشاعر عمران بن حطان، وقد ترجم لهم إحسان عباس، وجمع أشعارهم في كتاب سَمَّاهُ "شعر الخوارج".

قال عمران بن حطان يمدح ابن ملجم:[24]

للهِ دَرُّ الـمُـــرادِي الـــذي سَـفَـكَـــتْ	كَـفَّـــاهُ مُـهْـــجَـةَ شَـرِّ الخلق إنسَـانَا
أَمْـسَـــى عَـشِـيَّـة غَـشَـاهُ بِـضَـرْبَـتِـهِ	مِمَّـا جَـنَـاهُ مِـــن الآثَـــامِ عُـــرْيَـــانَـــا
يـــا ضَـرْبَـةً مِـن تَـقِـيٍّ مَـا أراد بِـهـــا	إلاّ لِـيَـبْـلُـغَ مِـن ذي الـعرش رِضْـوَانَـا
إنّـي لأَذْكُـرُهُ حِـيـنًـا فَـأَحْـسَـبُـهُ	أَوفَـى الـبَـرِّيَـةِ عِـنْـدَ اللهِ مِـيـزَانَـا
أَكـرم بـقـومٍ بـطـونَ الـطَّـيْـرِ قـبرهم	لَـمْ يـخـلـطـوا دِيـنـهـم بَـغْـيًـا وعُـدْوانا

تعرض محمد رمضان شاوش إلى هذه الأبيات الشعرية، وهي لشاعر من شعراء الخوارج، "عمران بن حطان"، الذي قالها في مدح قاتل الخليفة علي بن أبي طالب، عبد الرحمان بن ملجم المرادي، وهي تفوح بأفكار الخوارج، ومغالطتهم العقدية (في العقيدة)، يقول رمضان شاوش: "وقد ردَّ عليه شاعرنا بهذه القصيدة —يعني نونية بكر بن حماد التاهرتي– من وزنها ورويها، منكرًا عليه فعلته الشنيعة ومن خلال هذه الأبيات يظهر أن شعر ابن حطان هو شعر عقيدة يقوم على الحجج التي تستمد أصولها من المبادئ الدينية"[25]. وقصيدة بكر بن حماد وردت في "الدّر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي"؛ حيث صنفها رمضان شاوش ضمن غرض الهجاء، سماه "باب الهجاء" جاء

فيه: "هجو عمران بن حطان الشاعر، قال يهجو عمران الخارجي الشاعر ويعارض قصيدته التي مدح بها عبد الرحمان بن ملجم، وهي من البسيط"[26].

حظيت نونية "بكر بن حماد التاهرتي" في هجاء عمران بن حطان وعبد الرحمان بن ملجم بعناية النقاد القدماء، وهذا لارتباطها بحدث تاريخي له أهمية كبيرة في حياة المسلمين، وبالصراع المذهبي الدّائر بين أتباع المذهب الشيعي والخوارج وأهل السنة، والذي انتهى –كما هو معلوم– باغتيال الخليفة علي بن أبي طالب (كرّم الله وَجْهَهُ). وقد أشار إليها الناقد والمؤرخ الجزائري محمد بن عبد الله التنَسِّي، في كتابه: (نظم الدّر والعقيان في بيان شرف بني زيان)؛ حيث روى منها ستة عشر بيتا أولها:[27]

قُـلْ لابـن مُـلْـجِـم والأَقْـــدَارُ غَـالِـبَـةٌ هَـدَمْـتَ وَيْـحَـكَ لـلإِسْـلَامِ أَرْكَـانَـا

وأشير – في هذا الصدد– إلى أن مذهب بكر بن حماد التيهرتي يخالف مذهب الشاعر الخارجي عمران بن حطان، غير أننا لا نستطيع أن نجزم بأنه سُنّي أو شيعي، فقد ورد عن الباروني أنه يشك في مذهبه، يقول: "أمّا الذين لم نتحقق من مذهبهم فمنهم ذلك العلامة الأديب صاحب النظم العجيب (...) وهو إمَّا إباضي أو صَفرِي على الغالب بكر بن حماد بن سهر بن أبي إسماعيل الزناتي"[28]؛ حيث يرجح الباروني أن يكون الشاعر "بكر بن حماد" "صفري" وهي فرقة من فرق الخوارج التي نشأت بعد انقسام الطائفة الخارجية، غير أن الشاعر من المرجّح أن يكون "إباضيا" كونه ينتمي إلى الدولة الرستمية الإباضية المذهب، وعاصمتها "تيهرت" التي نشأ فيها الشاعر، وتلقى علوم الدين واللغة على أيدي علمائها.

وفيما يخص رواية القصيدة، فيعد "الباروني" من أشهر المؤرخين في المغرب القديم، فقد ترجم لمشاهير العلماء والأدباء الذين اشتهروا في زمانه، حيث تعرض إلى شعر بكر بن حماد وإلى اتجاهه المذهبي، فقال عنه: "أما الذين لم نتحقق مذهبهم فمنهم ذلك العلامة الأديب صاحب النظم العجيب والإنشاء الغريب المشهور في الشرق والغرب بين أرباب العلم والأدب وهو إما إباضي أو صفري على الغالب –بكر بن حماد بن سهل بن أبي إسماعيل الزناتي المتقدم الذّكر. يُعَدُّ هذا النص ترجمة للشاعر بكر بن حماد، على غرار التراجم الشعرية التي ألفناها في المصادر الأدبية المغربية القديمة، وعلى الرغم من عدم تخصص الباروني في النقد إلّا أنه قدم بعض الفتات التي يمكن أن توصف بأنها أحكام نقدية انطباعية؛ حيث يطلق الباروني الأحكام دون أن يعللها، وهذا راجع إلى كونه مؤرخًا وليس ناقدًا، كما أنها تشي بتذوقه للشعر، ومتابعته للحركة الأدبية في "تيهرت"، مسقط رأس الشاعر "بكر".

يذكر من صفات الشاعر أنه عَلَّامَةٌ، وَأَدِيبٌ، صَاحِبُ نَظْمٍ عَجِيبٌ، والإنشاء الغريب، فهذه مصطلحات نقدية، وبلاغية كانت شائِعَةً في البيئة الثقافية والأدبية في المغرب الأوسط، وما مصطلح "النظم" و "الإنشاء" إلا دليل واضح على طبيعة الممارسة النقدية التي حظي بها شعر "بكر بن حماد التاهرتي" بين النقاد والمؤرخين. حيث ذاعت قصيدة بكر بن حماد في المشرق والمغرب، وقد صنفها "الجراوي" في مختاراته الشعرية ضمن كتابه المعروف بـ (الحماسة المغربية) أو "مختصر صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب)، وهو من أهم مصادر الأدب في المغرب العربي، ويعد هذا الرجل من النقاد العارفين بالشعر الجيد في عصره؛ حيث صنف قصيدة "بكر" في باب "المرائي"، أي أجود

القصائد التي رثت الأعيان والخلفاء الذين اغتالتهم أيادي الغدر، ومنهم الخليفة علي بن أبي طالب الذي قتله عبد الرحمان بن ملجم، ويذكرها الجراوي في الحماسة:

قُـلْ لابـن مُـلْـجِـم والأَقْـدَارُ غَـالِـبَـةٌ هَـدَمْـتَ وَيْـحَـكَ لـلإِسْـلَامِ أَرْكَـانَـا

أورد في الهامش مناسبة القصيدة، يقول: "الأبيات المختارة من قصيدة لبكر بن حماد التاهرتي يرثي فيها عليا رضي الله عنه ويرد على عمران بن حطان الخارجي في رثائه لعبد الرحمان بن ملجم ومدحه إياه على قتل علي رضي الله عنه"[29]. إن القيمة الفنية لمرثية بكر في علي بن أبي طالب، وارتباطها بالحادثة التاريخية العظيمة جعلتها ترتقي لتصنف مع أفضل المراثي التي قيلت في مشاهير الناس.

.4. دراسة فنية لقصيدة الشاعر بكر بن حماد التاهرتي:

قُـلْ لابـن مُـلْـجِـمَ والأَقْـدَارُ غَـالِـبَـةٌ هَـدَمْـتَ وَيْـحَـكَ للإِسْـلَامِ أَرْكَـانَـا
قَـتَـلْـتَ أَفْـضَـلَ مـن يـمشي على قـدمٍ وَأَوَّل الـنّـاس إسـلامـاً وإيـمـانـا
وَأَعْـلَـمُ الـنَّـاسِ بِـالـقُـرْآنِ ثُـمَّ بِـمَـا سَـنَّ الـرَّسُـولُ لَـنَـا شَـرْعـاً وَتِـبْـيَـانَـا
صِـهْـرُ الـنَّـبـي ومـولاهُ ونـاصـره أَضْـحَـتْ مَـنَـاقِـبُـهُ نُـوراً وَبُـرْهَـانَـا
وكـان مِـنْـهُ عَـلَـى رَغْـم الحُـسُـودِ لَـهُ مَـكَـانَ هَـارُونَ مِـنْ مُـوسَى بْنُ عِمْرَانَا
وَكَـانَ فـي الحَـرْبِ سَيْـفًا صَـارِمًا ذكرًا لَـيْـتًـا إذَا لَـقِـيَ الأَقْـرَانُ أَقْـرَانَ
ذَكَـرْتُ قَـاتِـلَـهُ وَالـدَّمْـعُ مُـنْـحَـدِرٌ فَـقُـلْـتُ: سُـبْـحَـانَ رَبِّ العَـرْشِ سُـبْـحَـانَا
إنّـي لَأَحْـسَـبَـهُ مَـا كَـانَ مِـنْ بَـشَـرٍ يَـخْـشَى الـمَـعَـادُ وَلَـكِـنْ كَـانَ شَـيْـطَـانَا
أَشْـقَـى مُـرَادٍ إذَا عُـدَّتْ قَـبَـائِـلُـهَـا وَأَخْـسَـرُ الـنَّـاسِ عِـنْـدَ اللهِ مِـيـزَانَـا
كَـعَـاقِـرِ الـنَّـاقَـةِ الأُولَى الَّتِي جَلَبَتْ عَـلَـى ثَـمُـود بِـأَرْضِ الـحجر خُـسْـرَانَا
قَـدْ كَـانَ يُـخْـبِـرُهُـمْ أَنْ سَـوْفَ يـخضِبُـها قَـبْـلَ الـمَـنِـيَّـةِ أَزْمَـانَـا فَـأَزْمَـانَـا
فَـلَا عَـفَـا اللهُ عَـنْـهُ مَـا تَـحَـمَّـلَـهُ وَلَا سَـقَـى قَـبْـرَ عِـمْـرَانَ بْـنُ حَـطَـانَ
لِـقَـوْلِـهِ فِـي شَـقِـيّ ظَـلَّ مـجتَـرِمَـا وَنَـالَ مَـا نَـالَـهُ ظُـلْـمًـا وَعُـدْوَانَـا
يَـا ضَـرْبَـةً مِـنْ تَـقِـى مَـا أَرَادَ بِـهَـا إلَّا لِـيَـبْـلُـغَ مِـنْ ذِي الـعَـرْشِ رِضْـوَانَـا
بَـلْ ضَـرْبَـةً مِـنْ غَـوِيّ أَوْرَثَـهُ لَـظَـى مُـخَـلـدًا قَـدْ أَتَـى الـرَّحْـمَـنُ غَـضْـبَـانَا
كَـأَنَّـهُ لَـمْ يُـرِدْ قَـصْـداً بِـضَـرْبَـتِـه إلَّا لِـيَـصْـلَـى عَـذَابَ الـخُـلْـدِ نِـيـرَانَا

هذه القصيدة عبارة عن خطاب موجه إلى نقض، وهدم الخطاب الشعري الذي صدر عن الشاعر "عمران بن حطان"، وبالتالي يمكن ابتداء أن نصنفه ضمن "فن النقائض"، وإن لم يستوف شروط النقائض التي يرى فيها المتناقضان بعضهما؛ فعمران بن حطان خارجي مشرقي توفي في 84 هـ، وبكر بن حماد شاعر مغربي مالكي المذهب توفي في سنة (296 هـ). لكنني سوف أدرس القصيدة من وجهة فنية، أركز فيها على الأبيات التي تنقض أبيات عمران بن حطان، مبينا ما فيها من جماليات بعد أن عرفنا السياق التاريخي، الزماني والمكاني الذي انتج فيه النص

المغربي، بعد احتكاك الشاعر "بكر بن حماد" بالمدرسة الشعرية المشرقية. فإذا كانت القصيدة العربية القديمة تفتتح بمقدمة طللية، يليها الغزل مباشرة، فإن الشاعر بكر بن حماد لم يحفل بهذا النوع من المقدمات؛ حيث بدأ بمخاطبة ابن ملجم قاتِل علي بن أبي طالب، بأسلوب الأمر:[30]

قُـلْ لابــن مُـلْــجِـمَ والأَقْــدَارُ غَــالِـبَـةٌ هَــدَمْــتَ وَيْـحَـكَ لـلإِسْــلَامِ أَرْكَــانَــا

فخطابه يشتمل على الفعل (قل)، وهو أمر غَرَضُه التحقير، تليه الجملة الاعتراضية (والأقدار غالبة)، التي تغير مسار الخطاب؛ حيث كان القَدَرُ غَالِبًا، وليس ابن ملجم، ثم يذكر الفعلة الشنيعة التي قام بها في قالب خبري تقريري: هَدَمْتَ – وَيْلَكَ – للإسلام أَرْكَانَا)، إذ يتشكل أسلوبيا من الفعل هَدَمْتَ، والجملة الاعتراضية: وَيْلَكَ، ثم الجار والمجرور للإسلام، ثم المفعول به أركانا. فعلي بن أبي طالب ركن من أركان الدولة الإسلامية، أَوَّل من أسلم من الفتيان، ثم يعدد بكر بن حماد صفات الخليفة علي، وهي: (أول الناس إسلامًا وإيمانًا). (أعلم الناس بالقرآن، وبالسنة النبوية).(صهر النبي وقرابته، ومكانته منه). (الشجاعة في الحرب). ثم يأتي الحديث عن ابن ملجم في البيت السابع، فيقول:[31]

ذَكَـرْتُ قَـاتِـلَـهُ وَالـدَّمْـعُ مُـنْـحَـدِرٌ فَـقُـلْـتُ: سُـبْـحَـانَ رَبِّ العَـرْشِ سُبْحَـانَا

هذا البيت ردٌّ على عمران بن حطّان الذي يقول فيه:

إِنّـِي لأَذْكُـرُهُ حِـيـنًـا فَـأَحْـسِـبُهُ أَوْفَـى الـبَـرِيَّـةِ عِـنْـدَ اللهِ مِـزَانَا

يبني عمران بن حطان استراتيجية الخطاب على إبراز القاتل عبد الرحمان بن ملجم في صورة رجل تَقِيّ وَرِع، إلى درجة أنه يجد ميزان حسناته أثقل الموازين يوم القيامة، وذلك لأنه عَمِلَ عَمَلًا –وهو قتل الخليفة علي بن أبي طالب– هذا العمل يثقل ميزانه عند الله. ويتكون هذا التركيب الشعري من الصيغة اللغوية الآتية:

إِنّـِي لأَذْكُـرُهُ حِـيـنًـا فَـأَحْـسِـبُهُ أَوْفَـى الـبَـرِيَّـةِ عِـنْـدَ اللهِ مِـزَانَا

ما يهمنا من هذا التفكيك البنيوي[32] لعناصر الجملة في البيت، ما يلي: أدوات التوكيد: إِنَّ + لام التوكيد + الفعل المضارع = إني لأذكُرُهُ حِينَا فأحسبه، ثم الفعل (أحسبهُ) الناصب لمفعولين (هُ) الضمير العائد على (ابن ملجم)، و(أَوْفَى) اسم تفضيل وهو مفعول ثان للفعل أحسب، ثم المضاف إليه البرية، ثم التمييز (ميزانا). وهذا التشكيل يتيح للشاعر بكر بن حماد أن يأخذ منه نواته الشعرية كمنطلق لبناء خطاب الهدم والنقض، فيوَظّفُ منه: الفعل (ذَكَرْتُ)، ويمكن توضيحه بالمخطط الآتي:

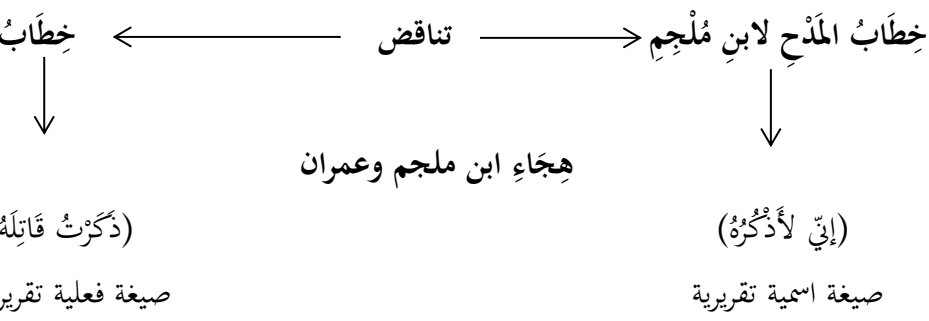

أحسبه أوفى البرية ميزانا (**خطاب التزيين**) – إني لأَحْسَبُهُ ما كان من بَشَرٍ ولكن كان شيطانا (**خطاب التقبيح**)، وهذا في قوله:

إنّي لَأَحْسَبُهُ مَا كَانَ مِنْ بَشَرٍ يَخْشَى المَعَادَ وَلَكِنْ كَانَ شَيْطَانَا

حيث تتغير الصورة المتخيلة التي يتصور المتلقي من خطاب المدح لابن ملجم إلى خطاب الهجاء في النص الشعري عند بكر بن حماد التيهرتي، انطلاقا من تغير الدّلالة التي تحملها الجملة الأولى: (إني لأذكره فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا)، والجملة الثانية: (إني لأحسبه ما كان من بشر ... ولكن كان شيطانا)؛ فبنية الخطاب الثاني تتأسس على العناصر اللغوية للخطاب الأول، لكن الدّلالة ليست واحدة في البنيات اللفظية، كما يرى أحد الدارسين.[33]

هذا الاختلاف الواضح في دلالة الخطاب ونقيضه مردُّه إلى عقيدة كل من الشاعر عمران بن حطان، والشاعر بكر بن حماد التاهرتي، في علي بن أبي طالب، موضوع خطاب المدح لعبد الرحمان ابن ملجم، وخطاب الهجاء له، ولمادحه عمران بن حطان؛ فالأول من الخوارج الغلاة، والثاني من الإباضية أو من السُنة، هذه المعطيات السياقية تسمح لنا بإلقاء الضوء على طبيعة التشكل اللغوي لخطاب بكر بن حماد التيهرتي. وإذا كان فن النقائض في العصر الأموي "نتيجة انغماس الشعراء في الخصومات والعصبيات القبلية"[34]، فإن نقائض بكر بن حماد وعمران بن حطان كانت ذات صبغة عقائدية، يغذيها الصراع المذهبي والطائفي، الذي امتدّ تأثيره من المشرق إلى المغرب[35]. ثم يستمر الخطاب بنبرة التحقير "**لابن ملجم المرادي**" بناء على الفعل: "أحسبه" في البيت الثامن:

إنّي لَأَحْسَبُهُ مَا كَانَ مِنْ بَشَرٍ يَخْشَى المَعَادُ وَلَكِنْ كَانَ شَيْطَانَا

يستخدم بهذه العبارات: (أَشْقَى مراد) و (أَخْسَرُ الناس)، وكلها على صيغة اسم التفضيل: (أَفْعَلْ) الدّال على الذّم، في البيت التاسع:

أَشْقَى مُرَادٍ إِذَا عُدَّتْ قَبَائِلُهَا وَأَخْسَرُ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانَا

ردًا على التفضيل الوارد في قول عمران بن حطان:

إنّي لأذكُرُهُ حِينًا فَأَحْسَبُهُ أَوْفَى البَرِيَّةِ عِنْدَ اللهِ مِيزَانَا

حيث يستخدم عمران بن حطان صيغة اسم التفضيل (أوفَى)، "وهو اسم مشتق على وزن (أَفْعَلْ) يدل –في الأغلب– على أن شيئين اشتركا في مَعْنَى، وَزَادَ أَحَدُهُمَا على الآخر فيه"[36]، وقد استعمل الشاعر بكر بن حماد التيهرتي صيغة (أفعل) التفضيل للتقبيح: (أَوْفَى)، (أَشْقَى) ، (أَخْسَرْ) للتقبيح.وهي بنيات لغوية مسيطرة على الخطاب.[37]

نلاحظ أن الشاعر وَظَّفَ صيغة (أفعل) التفضيل في (أشقى، وأخسر) ليهدم فعل التحسين (أَوْفَى)، وكأن الشاعر قد أتى بصفة الشفاء، وصفة الخسران بهذه الصيغة لإلصاقها بعبد الرحمان بن ملجم قاتل علي على وجه الدّوام، وهي من الصيغ التي تدل على الاستمرار والدوام عند النحاة، فإذا كان عمران بن حطان يريد بهذه الصيغة الدوام والاستمرار، فإن الصيغتان (أشقى) ، (أخسر) أفعال تفضيل تبطل هذا الاستمرار، يقول الدكتور عباس

حسن: "يدل أفعل التفضيل في أغلب صوره على الاستمرار والدّوام ما لم توجد قرينة تعارض هذا"[38]. ووجود الأفعال التي تعارض وتنقض هذا يبطل الصفة من الموصوف أي المفضول، ليتحول ابن ملجم إلى شَقِيٍّ، وخَاسِرٍ، بل وإلى أشقى وأخسر الناس. وقد بنى "بكر بن حماد" تخطيط النقض بشكل قوي من بداية القصيدة إلى نهايتها؛ حيث هدم خطاب عمران بن حطّان بذكر الجريمة الشنعاء التي ارتكبها "ابن ملجم"، وتذكيره بمناقب الإمام علي بن أبي طالب، وعقب على الصفات المذمومة للقاتل والخسارة التي تنتظره في الآخرة، ثم ختم القصيدة بخاتمة ذات وقع قوي:

فَـلَا عَـفَـا اللهُ عَـنْـهُ مَـا تَـحَـمَّـلَـهُ ... وَلَا سَـقَـى قَـبْـرَ عِـمْـرَانَ بْـنُ حَـطَـانَ
لِـقَـوْلِـهِ فِي شَـقِـيّ ظَـلَّ مـجتَـرِمَـا ... وَنَـالَ مَـا نَـالَـهُ ظُـلْـمًـا وَعُـدْوَانَا
يـا ضَـرْبَـةً مـن تَـقـيٍّ مَـا أَرَاد بـِهَـا ... إلا لِـيَـبْـلُـغَ مِـنْ ذِي الـعَـرْشِ رِضْـوَانَـا
بَـلْ ضَـرْبَـةً مِـنْ غَـوِيٍّ أَوْرَثَـهُ لَـظَـى ... مُـخَـلـدًا قَـدْ أَتَـى الـرَّحْـمَـنُ غَـضْـبَـانَا
كَـأَنَّـهُ لَـمْ يُـرِدْ قَـصْـداً بِـضَـرْبَـتِـه ... إِلَّا لِـيَـصْـلَـى عَـذَابَ الـخُـلْـدِ نِيـرَانَا

في هذه الخاتمة يدعوا الشاعر على القاتل "ابن ملجم" وعلى مَادِحِهِ "عمران بن حطان" بعدم الرحمة وعدم العفو، وعدم سقيا قبر "عمران"، مقدما سبب ذلك وهو مدحه للشقي المجرم الظالم:

يـا ضَـرْبَـةً مـن تَـقـيٍّ مَـا أَرَاد بـِهَـا ... إلا لِـيَـبْـلُـغَ مِـنْ ذِي الـعَـرْشِ رِضْـوَانَـا

وهو البيت الذي ما كان لعمران أن يمدح به رجلًا هَدَمَ رُكْنًا من أركان الإسلام، هذا الركن هو علي ابن أبي طالب الصحابي الجليل الذي ملأ الدنيا بفضائله وكرمه وعدله وشجاعتِهِ. ثم يأتي بحرف غير به مجرى الدلالة التي أرادها عمران بن حطّان تغييرا كليا، حينما قال:

بَـلْ ضَـرْبَـةً مِـنْ غَـوِيٍّ أَوْرَثَـهُ لَـظَـى ... مُـخَـلـدًا قَـدْ أَتَـى الـرَّحْـمَـنُ غَـضْـبَـانَا

ويمكن أن نوضح عمل هذا الحرف بالشكل الأسلوبي الآتي: النص الأول خطاب المدح:

"عمـران" **يـا ضَـرْبَـةً مـن تَـقـيٍّ مَـا أَرَاد بـِهَـا ... إلا لِـيَـبْـلُـغَ مِـنْ ذِي الـعَـرْشِ رِضْـوَانَـا**

"الفعل = قتل علي" "سبب الفعل + النتيجة"(**بل =** أداة تعبير الدلالة تفيد الاضراب)

النص الثاني = (خطاب الهجاء) = بكر بن حماد :

بَـلْ ضَـرْبَـةً مِـنْ غَـوِيٍّ أَوْرَثَـهُ لَـظَـى ... مُـخَـلـدًا قَـدْ أَتَـى الـرَّحْـمَـنُ غَـضْـبَـانَا

من خلال هذا المخطط البياني نجد أن "بل" من الحروف ذات الأهمية الأسلوبية الكبيرة في تغيير دلالة الخطاب، وقد وظفها للإضراب أي إضراب الشاعر عن معنى الخطاب الأول الذي جاء قبلها، وتغييره إلى دلالة ثانية بعدها، وردت في الخطاب الثاني، قول بكر بن حماد، وبهذا تساهم في تغيير دلالات الوحدات اللغوية في البيتين، بما يسمح بإنتاج ثنائيات ضدية على النحو التالي:(تَقِيّ... غَويّ)...(رضوانًا .....غضبانًا) الثنائية الأولى تقدم حقيقة ابن ملجم، وتفضح نفسيته المجرمة، التي قامت بفعل القتل، وأما الثنائية الثانية فتصف النهاية الحقيقية وهي غضب الله عليه، وتخليده في جهنم.

خاتمة: في ختام هذا البحث نتوصل إلى النتائج الآتية:

– إن الحواضر الغربية، وعلى رأسها حاضرة "تيهرت" قد أسهمت في الحركة الشعرية في القرن الثالث الهجري؛ حيث نشأ فيها شعراء أجادوا في قول الشعر، وكان لهم حضور قوي لافت، لا يمكن إنكاره، وخير دليل على هذه النهضة الشعرية المتميزة شعر بكر بن حماد التاهرتي الذي ذاع شعره في المشرق والمغرب، حيث تكاملت لديه صنعة الشعر بكل مقوماتها الفنية، سواء أكان ذلك في الموسيقى أم في اللغة والأسلوب أم في الصور الشعرية، أم في "الأغراض" الشعرية؛ إذ نظم الشاعر في أغلب الأغراض التي كانت سائدة في عصره. ويؤكد "بكر بن حماد" على أن التواصل الثقافي بين الحواضر المغربية ونظيرتها المشرقية كان من أهم العوامل المساعدة على بروز شعراء من الوزن الثقيل، كيف لا وهو الذي التقى بعلماء الحديث والتفسير وروى عنهم، كما حضر مجالس النقد والشعر، ومدح خلفاء بني العباس ونال منهم الجوائز وحظي لديهم بالتقدير.

قائمة المصادر والمراجع:

- التنسي، محمد بن عبد الله، (2011)، نظم الدّر والعقيان، في بيان شرف بني زيان، تح. محمود آغا بوعياد، وزارة الثقافة، الجزائر.
- التلمساني، المقري، (1983)، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المكتبة الملكية، الرباط/ المغرب.
- الجراوي، أبو العباس، (1991)، الحماسة المغربية، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة دويان العرب، تح: محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت/ لبنان.
- حسن، عباس، (د ت)، النحو الوافي، ط3، دار المعارف بمصر، القاهرة، مصر.
- الخزاعي، دعبل، (1994)، ديوان دعبل بن علي الخزاعي، شرح: حسن حمد، ط1، دار الكتاب الغربي، بيروت/ لبنان.
- أبو ربيع، محمد، تاريخ الأدب العربي القديم، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن.
- السجاني، جعفر، (1428 هـ)، بحوث في الملل والنحل دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية، ط1، مؤسسة الإمام الصادق، قم المقدسة/ إيران.
- بن شقرون، أحمد، (1985)، مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الادب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء/ المغرب.
- شاوش، محمد رمضان، (1966)، الدّر الوقاد من شعر بكر بن حمّاد التاهرتي، ط1، المطبعة العلوية بمستغانم، الجزائر.
- الطّمار، محمد، (2010)، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
- عباس، إحسان، (1974)، شعر الخوارج، دار الثقافة، بيروت/ لبنان.
- كنون، عبد الله، (1960)، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، طنجة، المغرب.

- مسعد، سامية مصطفى، (2000)، العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الإسكندرية/ مصر.
- المقدسي، (1991)، أحسن التقاسيم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة/ مصر.
- الميلي، مبارك، (د ت)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

الهوامش والإحالات:

[1] محمد الطّمار: المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص190.

[2] المرجع نفسه، ص 08.

[3] المقري التلمساني: روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المكتبة الملكية، الرباط، المغرب، 1983، المقدمة (التصدير).

[4] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د، ت)، (د، ط)، الجزائر، ص 65. (وكان تأسيسها سنة 144هـ).

[5] مبارك الميلي: المصدر نفسه ، ج2، ص79.

[6] المصدر نفسه، ص 77.

[7] المقدسي: أحسن التقاسيم، ط3، مكتبة مدبولي القاهرة، مصر، 1991، ص 318-321

[8] سامية مصطفى مسعد: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الإسكندرية، مصر، 2000، ص194.

[9] أحمد بن شقرون: مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص132.

[10] المرجع نفسه، ص 09-10.

[11] المرجع نفسه، ص 09.

[12] المرجع نفسه، ص 09.

[13] المرجع نفسه، ص 09.

[14] عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، طنجة، المغرب، 1960، ج1، ص 31.

[15] مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، ص77. والأزهار الرياضية للباروني.

[16] مبارك الميلي: المصدر نفسه، ج2، ص80.

[17] مبارك الميلي: المصدر نفسه، ج2، ص81.

[18] محمد رمضان شاوش: الدّر الوقاد من شعر بكر بن حمّاد التاهرتي، ط1، المطبعة العلوية بمستغانم، الجزائر، 1966، ص 70.

[19] دعبل: ديوان دعبل بن علي الخزاعي، شرح، حسن حمد، ط1، دار الكتاب الغربي، بيروت، لبنان، 1994، ص 19.

[20] الباروني: الأزهار الرياضية، ص 71.

[21] جعفر السبحاني: بحوث في الملل والنحل دراسة موضوعية مقارنة للمذاهب الإسلامية، ط1، مؤسسة الإمام الصادق، قم المقدسة، إيران، 1428هـ، ص 529.

[22] المرجع نفسه، ص 530.

[23] المرجع نفسه، ص 08.

[24] إحسان عباس: شعر الخوارج، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1974، ص 147، وينظر، جعفر السبحاني: بحوث في الملل والنحل، ص 531.

[25] محمد رمضان شاوش: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص 62.

[26] المرجع نفسه، ص 62.

[27] محمد بن عبد الله التنسي: نظم الدّر والعقيان، في بيان شرف بني زيان، تح. محمود آغا بوعياد، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011، ص44.

[28] الباروني: الأزهار الرياضية، ص 70.

[29] الجراوي: الحماسة المغربية، مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة دويان العرب، تح، محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1991، ج2، ص 793.

[30]– محمد رمضان شاوش: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص 62.

[31]– المرجع نفسه، ص 64.

[32] روفيا بوغنوط: تلقي النص الموازي في النقد العربي المعاصر، مجلة منتدى الأستاذ، قسنطينة، الجزائر، المجلد11، العدد02، السنة 2015، ص 109.

[33] ينظر، صالح خديش: لسانيات الملفوظية وتعليمية اللغة، مجلة منتدى الأستاذ، قسنطينة، الجزائر، المجلد1، العدد1، السنة 2005، ص 77.

[34] محمد أبو ربيع: تاريخ الأدب العربي القديم، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1990، ص78.

[35] فوزية عساسلة: بلاغة العدول إلى الإيجاز في قصيدة "بغداد قالت" لنوار عبيدي، مجلة منتدى الأستاذ، قسنطينة، الجزائر، المجلد16، العدد13، السنة 2013، ص 144.

[36] عباس حسن: النحو الوافي، ط3، دار المعارف بمصر، القاهرة، مصر، ج3، ص 395.

[37] نريمان بوشنقير: البنيوية التكوينية في النقد العربي الحديث بين الأصول والتطبيقات، مجلة منتدى الأستاذ، قسنطينة، الجزائر، المجلد16، العدد02، السنة 2020، ص 110.

[38] المرجع نفسه، ج3، ص 395.